نحو نهضة تعليم اللغة العربية
تأمّلات في تفعيل عملية تعليمها للناطقين بغيرها

بقلم : دحية مسقان

مقدمة

إن اللغة، بدون منازع، تعد أعظم الآلات يتخذها الإنسان فى تحقيق التعاون والاتصال بأبناء جنسه، وهى السمة البارزة التي تميز الإنسان، هذا الكائن المنفرد صانع الحضارة، عن غيره من مخلوقات الله، وهي على حد تعبير اللغويين أصوات و ألفاظ مرتبة على نسق معين تترجم الأفكار التي تجول فى النفس إلى عبارات وجمل تواضع عليها أهلها، يقال فى دائرة المعارف البريطانية بأن:

(Language is a system of conventional spoken or written symbols by means of which human being as members of social group and participants in its culture communicate)[1]

وهي فى الوقت نفسه تعد تعبيرا مدهشا عن قدرة الله التي لاتتناهى حيث قال فى هذا الصدد: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾[2]. واهتداء الإنسان إليها يكون منطلقا إلى كل ماشاء

[1] Encyclopedia Britanica, Vol. 13, p: 697.

[2] القرآن الكريم، الروم: ٢٢

على الأرض من ثقافات وحضارات كما أنه صار فيصلا بين هذا الإنسان وما سواه من الكائنات.

فاللغة على ضوء ما سبق إنما مجرد وسيلة لا الغاية لذاتها، إنها أداة الفرد فى التفكير، ووسيلته فى التعبير عن أفكاره ومشاعره ومشاكله، كما أنها صارت حافظة للفكر الإنساني وطريقا إلى التراث الثقافى والحضاري، بالإضافة إلى كونها وسيلة للتعليم والتعلم[٣].

اللغة العربية وخصائصها

شاءت إرادة السماء أن يكون هناك التلازم بين اللغة العربية والدين الإسلامي. فاللغة العربية ،وهي أطول اللغات الحية عمرا وأقدمهن عهدا، سارت فى ركاب الإسلام أينما سار وحلت حيثما حلّ، وهي لاتنفصل عنه كما أنه لاينفصل عنها، وهما من تفاعلهما ظلت كشجرة خضراء ممتدة الأغصان وارفة الظلال طيبة الأكل، فهي لاتدين للإسلام بانتشارها فحسب ولكنها تدين له كذلك بكل عواملها الأصلية التي نشأت أساسا لخدمة كتاب الله وسنة نبيه حتى صارت لغة الفكر والعقيدة، بل هي لغة الثقافة والحضارة. واستطاع الإسلام بذلك أن يحفظها من صروف الزمان وسيظل يحفظها إلى حيث ما شاء الله،

[٣] دحية مسقان، نحو استراتيجية تعليم اللغة العربية الفعال، بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي، بجامعة بروني دار السلام، ٢٠٠٧، غير مطبوع، ص:٢، بتصرف.

حيث تمكن من إرساء الدعائم والأسس جمعت المسلمين قاطبة من مشارق الأرض ومغاربها على وحدة التعبير والكتابة بالفصحى، بل وجمعتهم أيضا على وحدة الفكر. بفضله أصبحت الأمة الإسلامية أمة واحدة لافرق فى ذلك بين أبيض وأسود. وقد لاحظ هذا الواقع المستشرق الألماني بروكلمان (Karl Brockelmann) أستاذ اللغة العربية وآدابها بالجامعة الملكية ليدن، حيث يقول: (بفضل القرآن بلغت العربية من الاتساع مدى لايكاد تعرفه أية لغة من لغات الدنيا. والمسلمون جميعا يؤمنون بأن العربية هي وحدها اللسان الذي أحلّ لهم أن يستعملوه فى صلواتهم، وبهذا اكتسبت العربية منذ زمان طويل مكانة رفعية فاقت جميع لغات الدنيا الأخرى)[٤]

وهكذا مع نزول القرآن بهذه اللغة العربية، ارتفع شأنها وصارت اللغة السائدة فى بلاد العرب والمسلمين، بل وفى العالم الأجمع وأصبحت اليوم أكبر اللغات العالم انتشارا بعد الإنجليزية كما أن لها فضلا كبيرا على نشر حضارة الفكر الإسلامي وعلى تقدم العلوم والفنون والآداب المختلفة. وقد سجل جورج سرتون (George Sarton) هذه الحقيقة الفريدة عندما قال:

(Bahasa Arab adalah bahasa sains internasional, sedemikian rupa hebatnya sehingga tidak akan dapat ditandingi oleh bahasa lain kecuali bahasa Yunani, dan itu pun tidak akan pernah dapat terulang sampai kapanpun. Bahasa Arab bukan merupakan bahasa satu komunitas, satu

[٤] أنور الجندي، مقدّمات العلوم والمناهج، م:٤، دار الأنصار، القاهرة، د.ت، ص: ١٢٧

bangsa, satu agama tertentu, tetapi merupakan bahasa dari beberapa komunitas, bangsa, dan agama)

(إن العربية كانت لغة العلوم الدولية المتميزة لن تتكررمرة أخرى ولا توازيها أية لغة أخرى سوى اليونانية. واللغة العربية ليست لغة قوم معين ولا لغة شعب معين، كما أنها ليست لغة دين معين، بل هي لغة جميع الأقوام والشعوب، كما أنها لغة جميع الأديان)[٥]

ولعل أوضح دليل على ذلك أن العربية فى فترة وجيزة، أقل من قرن، أصبحت لغة عالمية، واتخذها الشعوب المفتوحة، مع ما لها من حضارة عريقة كالفارسية و اليونانية، بصدر رحب وأياد مفتوحة لتصبح لغة العلوم والأدب، ولغة الإدارة والشعائر الدينية. عن هذه الظاهرة الفريدة قالت المستشرقة الألمانية سيغريد هونكه (Sigrid Hunke) : (وكيف يستطيع المرء أن يقاوم جمال هذه اللغة ومنطقها السليم وسحرها الفريد؟، فجيران العرب أنفسهم فى البلدان التي فتحوها سقطوا صرعى سحر تلك اللغة،حسبما كان يشكو أساقفة إسبانية بمرارة. فلقد اندفع الناس الذين بقوا على دينهم فى هذا التيار يتعلمون العربية بشغف،

---

[٥] قال جورج سارتون:

(Arabic was the international language of science to a degree which has never been equaled by another language except Greek, and has never been repeated since. It was the language not of one people, one nation, one faith, but of many peoples, many nations, many faiths). George Sarton, *Introduction to the History of Science*, Baltimore, The Williams and Wilkins Co, 1927-1948, vol. 1 p: 16-18

حتى إن اللغة القبطية، مثلا ، ماتت تماما، بل إن اللغة الآرامية، لغة المسيح، قد تخلت إلى الأبد عن مركزها لتحتل مكانها لغة محمد).[٦]

من خلال ذلك العرض السابق فى إمكاننا أن نقول: إذا كان كثير من لغات العالم قد تعارضت لعوامل الانحسار والضعف، فإن اللغة العربية ظلت فى تاريخها الطويل وسيظل دائما – بفضل ما تحمله من الوحي – شامخة فى مواجهة التحديات الحضارية التي تحاول إضعافها أو النيل منها من أجل إضعاف رسالتها السامية لأنها أقوى من كل أسلحة الأعداء مهما كانت نوعية هذه الأسلحة، بل وسوف تستمر حية تواصل عطائها على مدى الدهر، فقد حصنها الله تعالى بقدرته وضمن لها الحفظ والاستمرار إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[٧]

وقد سجلت دائرة المعارف البريطانية هذه الحقيقة قائلة:

(Thus, in terms of the number of speakers and extent of its influence Arabic is by far the most important Semitic languages today and must be regarded as one of important world language).[٨]

---

[٦] سيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، آثر الحضارة العربية فى أوربا. نقله عن الإلمانية فاروق بيضون وكمال دسوقى، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٤، ص: ٣٦٧

[٧] القرآن الكريم، الحجر: ٩

[8] Encyclopedia Britanica, Vol. 2,1971, p. 182.

(إن اللغة العربية اليوم سواء بالنسبة إلى عدد متحـــدثيها و إلى مدى تأثيرها فى غيرها من لغات العالم فإنها تعد مـــن أعظـــم اللغـــات السامية وينبغى أن ينظر إليها على أنها إحدى اللغات العظمى فى العالم)

ولعلّ من أهم ميرة اللغة العربية أنها تهتم بالفعـــل كمـــا تهـــتمّ بالاسم رعاية للمقام وتقسيم الكلام حســـب مواضـــعه والمقتضـــيات الأحوال عند المتكلم والسامع من الاهتمام بأحدهما. فإذا قيل مـــثلا « انفتح الباب» فالاهتمام كله موجَه إلى الفعل، وأما إذا كان الاهتمـــام منصب على الاسم فيقال: « الوزير يزور هذه الجامعة». وهكذا نـــرى صفة اللغة العربية فى وفائها بالمعنى المقصود حسب مقصدالمتكلم وفهـــم السامع.

وفى دوره تؤكد لنا هذه الحقيقة عظيم المسؤولية عن تعليمهـــا، وبدون مبالغة نقول: إن نشر اللغة العربية وتعليمها مســـؤولية دينيـــة وحضارية أمام كل مسلم ومسلمة. وانطلاقا من هذه المسؤولية اهتمت المجتمعات الإسلامية غير العرب بتعليم اللغة العربية إيمانا منها بأن اللغـــة العربية أولى الوسائل لا ثانية لها التي يتم عن طريقهـــا فهـــم الإســـلام وتشريعته وأحكامه وعقائده، وبأنها وسيلة التفاهم والترابط بين المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها حيث أولت هذه المجتمعات عنايات كبرى بتدريس اللغة العربية فى المدارس والجامعات، علما بأن العربية هي لغـــة المستقبل وعن طريقها نبنى ونتطلع إلى مستقبل أفضل، فالإسلام ديـــن

وحضارة، واللغة العربية ما هى إلا لغة فكر عالمي إنساني متصل بكل قضايا الإنسان والحياة والمجتمع.

من أساسيات تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها

بناء على ما سبق، وانطلاقا من حرصنا على نشر هذه اللغة العظيمة يلزمنا فى النهاية أن نشير إلى بعض الأساسيات المطلوبة عند القيام بتعليمها، وهي تتبلور فى رأينا على النقط التالية:

أ. إن نشاط التعليم اللغوي لابد أن يكون الهدف الأساسي منه إكساب المتعلم أو الدارس القدرة على الاتصال اللغوى الواضح السليم. سواء أكان هذا الاتصال شفويا أو كتابيا. والاتصال اللغوي لابد أن يكون موجها إلى تنمية المهارات اللغوية الأربع مرتبة، وهي: الاستماع، ثم الكلام، ثم القراءة، ثم الكتابة. والحكمة تقول:

Nothing should be spoken before it has been heard
Nothing should be read before it has been spoken
Nothing should be written before it has been read

ولعل هذه الحقيقة هي أهم مظاهر التجديد في تعليم اللغة العربية الأجنبية، بما فيها العربية، حيث أنها هي الاتجاه الامثال السائد اليوم في العالم في هذا المجال. يقول إدوادر. م. ستاك (Edward. M. Stack)

في كتابـــه: "The Language Laboratory and Modern Language Teaching".

> "The objective which may be set for foreign language teaching is to enable students to understand, speak, read, and write that foreign language with native speed."

(الهدف المرسوم من تعليم اللغة هو جعل الدارسين يقدرون علـــى الفهم الكلام والقراءة والكتابة باللغة الهدف بسرعة طبيعيـــة غـــير متكلفة).[9]

معنى ذلك أن هذه الفنون اللغوية الأربعة، وهي أركان الاتصال اللغوي، متصل بعضها ببعض تمام الاتصال، وكل منها يؤثر ويتـــأثر بالفنون الأخرى، شأنه شأن كل كائن حيّ، حيث يؤثر كل جانب من جوانبه في الجوانب الأخرى. فالتركيز إذًا عنـــد تعلـــيم اللغـــة الأجنبية، وخاصة العربية، يتجه نحو تنمية المهارات اللغوية الأربـــع مرتبة، بينما كان التركيز في الماضي عند المدرسة الكلاسيكية علـــى مهارتي القراءة والكتابة مع إهمال مهارتي الاستماع والكلام، مـــع أنهما تعتبرين الأساس في تعليم أية لغة كانت حتى اللغة القوميـــة، لأن اللغة أساسها ما نسمعه وما ننطقه، وأما ما نقرأه ونكتبه فما هو إلا رموز متفق عليها. وهذا الإهمالها الكامل لهاتين المهارتين في دوره يؤدي إلى عجز الدارسين عن فهم ما يوجه إليهم من حـــديث في

[9] Edward. M. Stack, The Language Laboratory and Modern Language Teachir Oxford University Press, New York, 1966, p: VII

موضوع ما، وبالتالى عجزهم عن مشاركة فيه ويصبح أشبه بالشيخ الذي اعتاد أن يسير متوكئا على عصاه فإن سبحت منه العصا شلّت حركته. وبالمثل فإن الطالب أو الدارس الذي يعتمد في دراسته وفهمه للغة على النص المكتوب يصبح عاجزا عن الفهم دون النص لأنه قد تعود أن يفهم عن طريقه.

ومن المبادئ المهمة التي يجب أن يكون واضحة لدينا أن الطريق والأساليب تحدد دائما في ضوء وضوح الهدف، بمعنى أن تحديد هدف تعليم اللغة هو الذي يحدد الطرق والأساليب التي تتناسب وتحقيق ذلك الهدف.

ب. أن يكون التعليم مبينا على الجمع بين نظريتي الوحدة (all in one system)[١٠] والفروع (polysynthetic approach)[١١]. ويتم ذلك على ما يلي:

١. ألا نعتبر أي فرع من فروع اللغة العربية قسما قائما بذاته منفصلا عن غيره.

---

[١٠] يراد بها: أن تعليم العربية يتمثل كوحدة مترابطة متماسكة لا تتجزأ بعض فروعها عن بعض، والتعليم بهذه النظرية معني كل العناية بكسب المهارات اللغوية الأربع وبإلقاء كل عناصرها وفروعها متحدة لا تتجزأ.

[١١] يقصد بها: أن المعلم عند تعليمها يلجأ إلى تقسيمها فروعا، وكان لكل فرع منهجه وكتبه وخصصه، مثل. المطالعة والمحفوظات والقواعد والتعبير والإملاء والأدب والبلاغة. وباستخدام هذه النظرية استطاع المعلم أن يركز اهتمامه بأحد عناصر اللغة فى وقت خاص إلا أن فيها، كما هو المعروف، تمزيق للغة ويفسد جوهرها ويخرجها عن طبيعتها. وبالتالى تقل فيها فرص التدريب على التعبير ويضيق مجاله مع أن التعبير هو ثمرة الدراسات اللغوية جميعها.

٢. أن ننظر التقسيم على أنه تقسيم صناعي يراد به تيسير العملية التعليمية وزيادة العناية بلون معين فى وقت خاص.

٣. أن نقوم بتنفيذ نظرية الوحدة فى المرحلة الأولى والمرحلة المتوسطة، ونظرية الفروع فى المرحلة المتقدمة.

ج. أن يتوفر عند تعليم هذه اللغة المعلم الجيد باعتباره العمود الفقري والعامل الرئيسي فى نجاح العملية التعليمية حيث أنه يمتلك قوة التأثير فى العناصر الأخرى اللازمة عند التعليم، والحكمة تقول:

- ✓ الطريقة أهم من المادة
- ✓ والمدرس أهم من الطريقة
- ✓ وروح المدرس هي الأهم

فالأهداف والمنهج والوسائل والطريقة والتقويم جميعها تظل أدوات صماء بدون معلم جيد يتمتع بالسمات الشخصية والاجتماعية التي يمكن له أن يحقق فى إطارها النجاح والتوافق المهني. ولعل أهم هذه السمات هي[١٢]:

١. الإخلاص والصدق، وهما مصدر كل نجاح فى تحقيق الأهداف المنشودة.

[١٢] للتفصيل راجع: دحية مسقان، نحو استراتيجية تعليم اللغة العربية الفعال للناطقين بغيرها، بحث غير مطبوع، ٢٠٠٧، ص: ١٢-١٩.

٢. الثقة بالنفس، وهي إدراك المعلم لذاته وإيمانه بمهنة التدريس وحماسه وحبه للعمل فيها.
٣. قوة الشخصية، أي أنه يتميز بالذكاء والحرية فى اتخاذ القرارات مع مراعاة المصلحة والحزم فى المعاملة.
٤. الإلمام بالمادة التعليمية والدراسات النظرية التي تساعده فى رفع مستوى الدارسين.
٥. اجتماعي الطبع، أي يتميز بالسلوك الاجتماعي مع تلاميذه ويكون علاقات طيبة معهم.
٦. الاتزان الانفعالي، أي يتميز بالثبات والتكيف العاطفي فى أقواله وأفعاله.
٧. الفاعلية الشخصية، أي الإيجابية والقدرة على التفاعل بين العناصر الأخرى فى العملية التعليمية.
٨. النمو والتجديد، أي يمتلك روح المبادرة والنزعة إلى التجديد والقيام بالتجربة.
٩. الموضوعية والتواضع، أي عدم التمييز والتعصب فى معاملة الدارسين والموضوعية فى معالجة الدروس والتواضع دون إهدار لكرامته.

د. أن يستخدم المعلم عند القيام بتعليمها الطريقة الحديثة وما يدور حول الطريقة المباشرة[١٣]، وذلك لأن هذه الطريقة تطابق و طبيعة اللغة حيث أنها عبارة عن أصوات لغوية مسموعة بعد النطق.

وتعتمد هذه الطريقة على وضع الدارس داخل "حمام اللغة" بالإكثار من التمرينات والتدريبات فى الاستماع، والمحاكاة، والاتصال حتى يستطيع أن ينطق باللغة العربية أو توماتيكيا. ومن إيجابيات هذه الطريقة:

١. أن هذه الطريقة تلائم الطريقة التي يسلك عليه العقل عند تعليم اللغة الأصلية. فالتلميذ يجب أن يتكلم اللغة المراد تعليمها قبل المحاولة على القراءة والكتابة وتعلم النحو والصرف والمصطلحات وغيرها.

٢. أن الطريقة المباشرة تناسب النظام اللغوي، فاللغة نظام يتكون من السماع والمحاكاة والتعويد، فلا تكون اللغة ملكة لغوية راسخة وعادة أوتوماتيكية لدي المتعلم إلا بكثرة التدريب في السماع والمحاكاة.

[١٣] وهي الطريقة التي لا يذكر منها المعلم معنى الشئ بلغة الدارسين أثناء التدريس، بل باللغة العربية المراد تدريسها. وظهرت هذه الطريقة كرد فعل طبيعي لعيوب الطريقة التي تعتمد على استعمال لغة وسيطة أثناء التدريس.

٣. أن الطريقة المباشرة تطابق القواعد الأساسية للتعليم وهي التدرج من البسيط إلى المركب والتدرج من المعلوم إلى المجهول.

٤. أن التعليم اللغوي باستخدام هذه الطريقة مشوق جذاب لايستدعي التلاميذ إلى الملل والسآمة لوجود وسائل الإيضاح الحسية والمعينات البصرية عند الضرورة.

٥. يقدر الطالب بهذه الطريقة على تناول قسط كبير من مهارة اللغة الشفوية، وإتقان النطق والتعبير اللساني والتحريري.

٦. بهذه الطريقة يستطيع الدارس أن يرقى مهارته في تعبير أفكاره ومشاعره باللغة العربية لأنه تمرن كثيرا على التفكير بها منذ بداية تعلمه إياها.

هـ. توفير بيئة لغوية في شكليها الرسمية واللارسمية تحيط بالدارسين من خلال أنظمة الجامعة وأنشطتها المتنوعة مما يشجعهم على ممارسة الكلام والتحدث بالعربية. ولعل هذا الأمر من أبرز ما يميز معهد دار السلام كونتور بصفة العموم عن غيره. فالحياة داخل الحرم بما فيها من مناخ العلم، والعلاقة بين الأساتذة والدارسين، وبين الطلاب والدارسين أنفسهم. والأنشطة الطلابية والثقافة والاجتماعية ووسائل الإعلام المحلية، كل ذلك يتم باللغة العربية والإنجليزية.

ومن خلال وجود بيئة لغوية إيجابية تظهر وظيفة اللغة الحقيقية التي من أجلها ظهرت، فهي وسيلة للتفاهم والاتصال، وأداة الفرد في التفكير والتعبير عن أفكاره ومشاعره، وآلة التسجيل للعلوم والثقافة، و وسيطة لنقل المجهود الفكري والحضاري من جيل إلى جيل ومن عصر إلى عصر. والبيئة اللغوية الجيدة تتوقف على عدة مقومات، أهمها:

- وجود هيئة تقوم بتنظيم النشاطات اللغوية.
- توفر المشرفين والموجّهين لهذه النشاطات.
- وجود نظام يساند مسار هذه النشاطات.

بين المدرسة الكلاسكية والمدرسة الحديثة.

ومن الأهمية بمكان، ونحن نتحدث عن واقع تعليم العربية لغير الناطقين بها وخاصة فى إندونيسيا، أن نقدم دراسة مجملة بعقد المقارنة تدور حول أولوية تقديم المهارات اللغوية وعناصر اللغة عند التعليم بين المدرسة الحديثة وبين المدرسة الكلاسيكية، وذلك من خلال الأسئلة الآتية التي تمس أساس القضية، وهي:

١. أية المهارة تعلم أولا ؟ الكتابة والقراءة أم الاستماع والكلام ؟

٢. هل يبدأ التعليم بتدريبات الأذن المنتظمة وتدريبات النطق ؟ أم تأجيلها إلى المرحلة التالية ؟
٣. أين الأحسن تعلم الكلمة أولا أم الجملة ؟
٤. هل تنطق اللغة في بطء ووضوح منذ المرحلة الأولى أو نطقها بالسرعة العادية؟
٥. هل الاعتماد على التدريبات أم على الترجمة ؟[١٤]

١. أية المهارة تعلم أولا، الكتابة والقراءة أم الاستماع والكلام ؟

رأي المدرسة الحديثة:

ترى المدرسة الحديثة أن تبدأ بتعليم الاستماع والكلام لأن اللغة تتمثل في الكلام أكثر مما تتمثل في الكتابة، فموسيقى الكلام من نبر، وتنقيم، ووقف ووصل، وإطالة، وغير ذلك من الخصائص الصوتية الأخرى تتضح في الجانب المنطوق من اللغة ولا تتضح من الجانب المكتوب منها.ويمكن تأييد هذه وجهة النظر بجوانب تكتيكية، نورد منها ما يلي:

[١٤] للتفصيل راجع: د. أحمد هداية الله زركشي، اللغة العربية في إندونيسيا دراسة وتاريخا، رسالة الدكتوراه، ص: ١٣١ – ١٥٠ بالتصرف.

منها، لو أخذنا فئتين من الطلبة إحداهما بدأت تعليمها بالسيطرة على أنماط اللغة بالطريقة الحديثة، والأخرى بدأت تعلم الرموز الكتابية فإننا سنلاحظ أن الفئة الثانية تعجز عجزا تاما عن تعلم الكلام بأنفسهم.

منها، لو نظرنا إلى مدى الاستعداد والرغبة فى مواصلة التعلم فى فئتين من الطلبة، فئة تعلمت الاستماع والتكلم أولا، وفئة بدأت تتعلم الكتابة لوجدنا أن الفئة الأولى قد شعرت بالثقة فى نفسها لأنها أحرزت تقدما فى جانب اتصالى هام هو الكلام، بخلاف الفئة الثانية التي ستميل إلى الاعتقاد بأن عملية الكلام أمر شاق. ولهم العذر فى ذلك لأنه لم يسبق لهم سماع الأصوات، وسيكونون مضطرين إذا ما حاولوا الكلام إلى أن ينطقوا الأصوات بطريقة متخيلة كونها من خلال دراستهم لأشكالها المكتوبة. حتى إذا اكتشفوا بأن ما ينطقونه من أصوات مخالفة للواقع حدث عندهم إحباط ربما يؤدى إلى تعويق مسيرة التعلم و التعليم والرغبة فيه. بخلاف الفئة الأولى التي تعلمت الأصوات فى المرحلة الشفهية عن طريقة الاستماع والترديد، وما بقي عليها إلا تعزيز صورتها المنطوقة بالمكتوبة. وقد جاءت تجارب علم النفس بما يدعم هذا الأساس. فقد أثبتت التجارب أن الانتقال من التعلم السمعي إلى المرئي أسرع وأكد من الانتقال من التعليم المرئي إلى السمعي.

رأي المدرسة الكلاسيكية:

ترى المدرسة الكلاسيكية البدء بالكتابة قبل الاستماع والكلام، وحجتهم فى ذلك أن الجانب المكتوب من اللغة أكثر ثباتا من الجانب المنطوق، فالجانب المكتوب لا يتغير بتغيير الأقاليم، بخلاف اللغة المنطوقة فهي تختلف باختلاف الأقاليم.

وترى أيضا أن تعلم الكتابة أسهل ويتم فى وقت قصير، ولهذا يشعر التلميذ الذي تعلم النظام الكتابي للغة الهدف أنه قد أحرز تقدما فى عنصر من عناصرها، الأمر الذي سيحفزه على مزيد من التقدم والثقة.

٢. هل يبدأ التعليم بتدريبات الأذن المنتظمة وتدريبات النطق؟ أم تأجيلها إلى المرحلة التالية؟

رأي المدرسة الحديثة:

ترى المدرسة الحديثة أن تبدأ برامج تعليم اللغة بتدريبات الأذن المنتظمة، وتدريبات النطق منذ المراحل الأولى للتعليم، ولا يؤخر ذلك إلى المرحلة التالية خوفا من أن يكتسب الطالب عادات النطق الرديئة فيصعب تخلصه منها.

رأي المدرسة الكلاسيكية:

ترى المدرسة الكلاسيكية الابتعاد عن تدريبات الأذن والنطق فى المراحل الأولى ظنا منها أن مثل هذه التدريبات ستؤدى إلى الملل واليأس، كما ترى أن هناك مجالا كبيرا لاستدراكها فى المرحلة المتقدمة حيث يكون الطالب قد ملك جزءا من ناحية اللياقة.

وبالنظر إلى هذين الرأيين من المدرسة الحديثة والمدرسة الكلاسيكية، فالأرجح فى تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها أن يكون مع المدرسة الحديثة فى وجوب تقديم تدريبات الأذن والنطق منذ اليوم الأول للبرامج اللغوية، ويتم تدريبات الأذن بعدة طرق، أهمها ما يأتي:

منها، ينطق المدرس أصواتا مختلفة منعزلة أو داخل سياق فيستمع الطلبة إليها محاولين إعادة نطقها سرا لأنفسهم، وتعتبر هذه الطريقة فى نظر "بالمر" (Palmer) أنها إيجابية وطبيعية، فقد استعملها الطفل وهو فى المهد يستمع إلى الأصوات التي يصدرها الناس من حوله فيتمثلها لا شعوريا.

منها، يعطى المعلم الطلبة بعض الأصوات ليتعرفوا عليها، ثم يعطيهم أصواتا متشابهة ليقوموا بالتفريق بينها.

وأما تدريبات النطق فتتم وفقا للخطوات التالية:

منها، يبدأ المعلم بتدريب الطلبة على الأصوات المألوفة منعزلة، ثم يقوم بإطالتها لعدد من الثواني ويطلب من طلبته محاكاة ذلك أو يطلب منهم نطقها بسرعة، ثم بعد ذلك ينطقونها داخل كلمات جديدة غير مألوفة لديهم.

منها، أن يشجع المعلم الطلبة على استغلال مقدرتهم على المحاكاة، فبعد أن يستمع الطالب إلى كلمات أو جمل مختلفة يصر المعلم منذ المرحلة الأولى على محاكاة النطق بكل ما يرتبط به من موسيقى الكلام من طبقة وطول ووقف وغير ذلك من الدقائق الصوتية الأخرى.

٣. أين الأحسن تعلم الكلمة أولا أم الجملة ؟

رأي المدرسة الحديثة:

ترى المدرسة الحديثة أن يبدأ بتحفيظ الجمل وكيفية تركيبها قبل تحفيظ الكلمات واشتقاقات تصريفها، وبمعنى آخر يبدأ بتدريس النحو قبل الصرف.

رأي المدرسة الكلاسيكية:

ترى المدرسة الكلاسيكية الابتداء بتحفيظ الكلمات وكيفية اشتقاقها قبل تعلم الجمل وتكوينها، لأن الكلمة هي وحدة الكلام الأساسية، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تكون الكلمة أصغر من

الجملة، ولذا فإن تعلمها يكون أسهل، وفى هذا تحقيقا للتدرج وهـــي الانتقال من السهل إلى الصعب.

وبالنظر إلى هذين الرأيين فالأصلح لتعليم اللغة للطـــلاب غـــير العرب أن يكون مع المدرسة الحديثة لأن الوحدة الأساسية للكلام هي الجملة وليست الكلمة، ثم إن تعليم جملة تتكون من سبع كلمات معناه تعليم سبع دفعة واحدة، ثم إن الكلمة معزولة عن الجملة، قد يكون لها أكثر من معنى، أما إذا دخلت فإنه سيكون لها معنى واحد. والمثال على ذلك كلمة "يفتح" فهي تعني عدة معان، يمكن التمثيل لها بالجمل التالية:

- يفتح علي الباب
- يفتح علي حسابا فى البنك
- يفتح الله عليا بالخير الكثير.
- يفتح القائد الحصن.

ويضاف إلى ذلك أن تدريس الجملة معناه تدريس تركيب معين بجانب تدريس أقسام الجملة خبرية أو إنشائية أو قطعية اســـتفهامية أو تقريرية أو تعجبية، مثبتة أو منفية.

والذي يجب مراعاته أن تقدم العناصر اللغوية الصرفية كأقســـام الكلمة والاشتقاق والتصريف داخل سياق مكتمل، ولا تقدمها منعزلة أي يجب أن تقدمها فى جملة كاملة حتي يتضح معناها ووظيفتـــها، لأن

بعض هذه الكلمات لها وظيفية كحروف الجر، والعطف، والنفي، والشرط، وإلى آخره مما لا يتضح معناها إذا درست منعزلة عن الجملة.

٤. هل تنطق اللغة في بطء ووضوح منذ المرحلة الأولى أو نطقها بالسرعة العادية ؟

رأي المدرسة الحديثة:

تري هذه المدرسة وجوب تعلم اللغة كما تستعمل في الحديث العادي أى بالسرعة العادية التي ينطق بها أبناء اللغة، فإن ذلك يؤدي إلى اكتساب الطلاقة، أما الثاني فهو إحدى مميزات الهجنة، وأما التخاطب (الإلقاء الخطابي) فلا يمثل اللغة الطبيعية بأي حال من الأحوال.

رأي المدرسة الكلاسيكية:

تري هذه المدرسة أن نطق اللغة في بطء ووضوح يستطيع الطالب معرفة تفاصيلها حتى يسمعها ويدرك كلماتها، إذ كيف يفهم الجلمة إذا نطقت بالسرعة التي يتكلم بها أهلها وهو ما زال في البداية ؟، ومن الممكن في مرحلة لاحقة أن يتمرن على النطق السريع.

وبالنظر إلى الرأيين فالمختار أن يكون مع المدرسة الحديثة لتعليم اللغة العربية للدارسين غير العرب للوصول إلى أقصى الأهداف من تعلم تلك اللغة، وفي هذا وجوب إلقاء الجمل أو الحوارات بالسرعة العادية

كالتي يتكلم بها أهل اللغة لأن الطالب الذي يتدرب على فهم المسموع يلقى عليه فى بطء كلمة فكلمة سيكتسب عادة الاستيعاب البطيء، ويصعب عليه مستقبلا فهم الكلام إلا إذا ألقي فى بطء. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن النطق البطيء يفقد الجملة ترابطها الصوتي، ولا يتضح من خلاله الوقفات والنبر والتنقيم تماما كما يتم ذلك فى النطق بصورة عادية. إن النطق البطيء ليس طبيعيا، ومن المستحسن أن يتعود الطالب على الاستماع للنطق العادي من أول يوم له فى البرنامج اللغوي.

٥. هل الاعتماد على التدريبات أم على الترجمة ؟

رأي المدرسة الحديثة:

ترى المدرسة الحديثة الاعتماد على التدريبات لأن الترجمة لا تقوم مقام التدريبات فى تعليم اللغة، ونسوق لذلك أسبابا نجملها ما يلي:

منها، لا يمكن لمفردات لغة أن تتطابق فى المعنى مع مفردات لغة أخرى، وإذا ما حدث شيء من ذلك فإنه سيكون فى حدود ضيقة.

منها، إن الطالب الذي يعتقد أن الكلمات المترجمة تطابق فى المعنى كلمات اللغة المترجمة عنها سيعتقد بالتالى أن ترجمته تعبر عن نفس المواقف التي تعبر عنها اللغة الأخرى، وهذا يؤدي إلى خطأ جسيم.

منها، إن الترجمة الحرفية كلمة فكلمة تؤدي إلى تكوين تراكيب ركيكة أو على الأقل غير المقبولة للمستوى اللغوي المطلوب، أما تدريبات الأنماط فتتضمن تراكيب صحيحة. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن محصل الترجمة أن يكون أقل من محصل التدريبات، وهذا سيؤدي إلى شعور الطالب-فى حالة الترجمة-بعدم التقدم.

منها، إن تدريبات الترجمة لاتنمي مهارات الاستماع الكلام والقراءة والكتابة بنفس القدر الذي تنمي به فى التدريبات، بل إن مهارتي الاستماع والكلام ربما لا تنميان على الإطلاق. وضعت تدريبات الأنماط والتدريبات الاتصالية وتدريبات التكرار بطريقة تدفع عجلة التعلم تقدما، أما الترجمة فهي فن قائم بذاته، وليس من أهداف تطوير المهارات اللغوية.

منها، تتطلب الترجمة الجيدة حذقا تاما للغة المقصودة، ولهذا فهي مرحلة لا حقة، أما تدريبات التركيب فلا تتطلب حذقا للغة، بل هي تعليم يمكن أن تبدأ به فى المرحلة الأولى من البرنامج اللغوي. ومن أجل ذلك كان علينا أن نبدأ بالتعليم أولا، ثم بعد ذلك تعلم الترجمة على أساس أنها مهارة مستقلة، إذا كانت هناك ضرورة لذلك.

رأي المدرسة الكلاسيكية:

ترى هذه المدرسة أن الترجمة أمر ضروري فى توضيح المعنى وفى معرفة خصائص اللغة الهدف وفى تمكين الطالب من المقارنة بين تراكيب كل من اللغتين وبين آرائها وحضارتها، وهذا أمر لا يمكن أن يتـــأتى إلا عن طريقة الترجمة، كما أنها طريقة لقياس مستوى الطلبة.

نعتقد أن رأي المدرسة الحديثة أصلح لأن الترجمة لا ولن تستطيع أن تقوم مقام التدريبات. كما أن دور الترجمة فى شرح المعـــنى وبيـــان مراده ليس أمرا مؤكدا. وقد أكدت التجارب أن اســـتخدام الجمـــل القائمة لشرح وفهم مضمون الحوار أمر ينصح به عدد كبير من علمـــاء اللغة.

ومع إيماننا أن الترجمة فن قائم بذاته، نرى ألا تهمل الترجمة كلية، بل يمكن ما بين حين وآخر تقديم ترجمة من اللغة الأم إلى اللغة الهدف، وذلك فى المراحل المتقدمة حتى يكونوا ملمين بمبادئ الترجمة وإجراءاته.

خاتمة

لقد صدق المفكر الإسلامي الكبير د. محمد إقبال حـــين أعلـــن وقرر "إن سر الحياة هي الحركة" فى أنشودته الجميلة:

The motionless bank of river said: "In my long existence I have contemplated much to know what I am, but the meaning of my existence

*has not been revealed to me." Hearing this the fast-moving and tumbling wave replied, "**The secret of life and the essence of it is movement; I exist so long as I move, when I cease to move I shall cease to be**".*[15]

إنه ليس مجرد الحركة، وإنما الحركة القائمة على المبادئ و القيم التي جاء بها القرآن الكريم منذ خمسة عشر قرنا من الزمان، فإن تلك القيم والمبادئ إذا تم تفعيلها وتحويلها إلى برامج عمل، كما حدث فى الماضى، فإنها قادرة بدون شك على الوفاء بكل المتطلبات ومواكبة كل التطورات فى هذا العصر الذي يحلو لنا تسميتها بعصر العولمة وفى غيره من العصور، لأنها ليست مبادئ مؤقتة أو مرحلية بل هي مبادئ أساسية ثابتة تصاحب البشرية فى كل مراحل تطورها من أجل سعادة الإنسان ومصلحته فى دنياه وأخراه. وهذا يعني أننا مطالبون ببذل المجهود أضعافا مضاعفة لدراسة تلك القيم و المبادئ وفهم أسرارها ودقائقها عن طريق رفع مستوانا وكفاءتنا اللغوية – ونخص بالذكر اللغة العربية – بالإضافة إلى قدراتنا الفكرية والثقافية والحضارية.

ثم إننا من خلال ما أوردنا فى الصفحات السابقة لم نكن نقصد به مجرد التغني بالأمجاد أو اجترار ذكريات حلوة، وإنما نقصد بذلك العودة إلى الجذور الأصلية التي فى متناول أيدينا لأخذ الدروس والعبر من ماضينا العريق حتي يتسني لنا مواصلة السير على الدرب ونبني كما بنوا ونستمر فى البناء ليرتفع ونرتفع نحن معه، إذ ليس من اللائق، كما نوه به

[15] Khalifah Abdul Hakim, **Renaissance in Indo-Pakistan, in A History of Moslem Philosophy,** ed. M. M. Sharif, vol: II, 1983, p: 1632.

السيد جمال الدين الأفغاني، أن نتذكر مفاخر آبائنا وأجدادنا إلا إذا فعلنا فعلهم. وما أصدق ما أنشده أبو البقاء الرندي الأندلوسي:

ماض نعيش على أنقاضه أمما # ونستمد القوى من وحي ذكراه

قائمة المراجع:

باللغة العربية:

إبراهيم، حمادة، د. الاتجاهات المعاصرة في تدريس اللغة العربية واللغات الحية الأخرى لغير الناطقين بها، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٠

إمام زركشي، كياهي الحاج، دروس اللغة العربية على الطريقة الحديثة، تريمورتي، كونتور، د.ت

_____، الإرشادات فى تعليم اللغة العربية بمعهد دارالسلام الحديث كونتور، مكتبة كلية المعلمين الإسلامية، د.ت

بدري، كمال إبراهيم، د. الأولويات فى منهج تعليم اللغة العربية فى مدارس إندونيسيا، بحث غير المطبوع،١٩٨٦

الجندي، أنور، مقدمات العلوم والمناهج، م: ٤ (فى اللغة والأدب والثقافة)، دار الأنصار، القاهرة، د.ت.

الحديدي، على، د. مشكلة تعليم اللغة العربية لغير العرب، دار الكاتب للطباعة والنشر، القاهرة، ط: ١ ، ١٩٨٠

زركشي، أحمد هداية الله، د. اللغة العربية فى إندونيسيا، دراسة وتاريخا، رسالة الدكتوراه، ١٩٩١.

طعيمة، رشدي، د. تعليم العربية للناطقين بغيرها، مناهجه وأساليبه، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، رباط، ١٩٨٩.

عبد السلام، جعفر، د. التجديد فى الفكر الإسلام، رابطة الجامعات الإسلامية، القاهرة، د. ت

قاسمي، على محمد، د. اتجاهات حديثة فى تعليم العربية للناطقين باللغات الأخرى، مكتبة جامعة الرياض، الرياض، ١٩٧٩.

مسقان، دحية، د. الاتجاهات الحديثة فى تعليم اللغة العربية لغير ناطقين بها فى إندونيسيا، رسالة الدكتوراه، ٢٠٠١.

_____، نحو استراتيجية تعليم اللغة العربية الفعال، قراءة فى تجربة معهد دار السلام كونتور الحديث، بحث غير مطبوع، ٢٠٠٧.

باللغة الإنجليزية و الإندونيسية:

Boer, T.J. De, *The History of Philosophy in Islam*, translated into English by: Edward R. Jones, Cosmo Publication, New Delhi, 1983

Doglas, Brown, *Principles of Language Learning and Teaching*, Pentice Hall Inc, New Jersey, ed: II, 1980

Effendy, Ahmad Fuad, dkk, *Biografi KH. Imam Zarkasyi, Dari Gontor Merintis Pesantren Modern*, Percetakan Trimurti, ed: I, 1996

Effendy, Ahmad Fuad, *Metodologi Pengajaran Bahasa Arab*, Misykat, Malang 2006.

Encyclopedia Britannica, vol. 2, p. 182.

Encyclopedia Britannica, vol.13, p. 697.

Hoffman, Murad Wilfred, *Der Islam als Alternative*, translated into Arabic: *Al-Islam ka Badiel*, Kuwait, 1413/1993.

Hunke, Sigrid, Dr. *Allah Sonne Uber Dem Abendland Unser Arabisches Erbe*, translated into Arabic: *Syamsu-l-ArabTastha' 'ala-l-Gharb*, Daru-l-Afaq al-Jadidah, Bairut.

Nakosten, Mehdi, Dr. *History of Islamic Origins of Western Education, A.D 800-1350*, translated into Bahasa Indonesia: *Konstribusi Islam atas Dunia Intelektual Barat*, Surabaya 2003.

Sarton, George, *Introduction to the History of Science*, Baltimore, The Williams and Wilkins Co, 1927-1948, vol. 1.

Yunus, Mahmud, Prof. Dr, Metodik Khusus Bahasa Arab, cet. III, al-Ma'arif, Bandung 1980.